

الفن انعكاس متجانس مع كل لحظة أعيشها. في خريف العام 2019 بدأتُ البحث في مشروعِي هذا: الوقت الزفت / ZeftTime. لكنني ما لبثتُ أن وجدتُ العالم كُلَّهُ يدخل هذا "الوقت" عبر الجائحة التي أتت لاحقاً. هذه المعطيات الجديدة جعلتني أهدم ما توصلتُ إليه.

أصبح الأوكسيجين وأجهزته والكمادات وحرية التنفس والسفر والحياة... هي الأولوية. ثم هزَّ انفجارٌ كيميائي مدمرٌ بيروت. وكان زجاج المدينة المتحطم سبباً أساسياً لقتل الناس هناك.

الوقت هو المسوِّدة، قلت. والانعكاس هو المفتاح السريّ للدخول إلى الوقت الزفت / ZeftTime .

هكذا بدا التحدي الفني بالنسبة إليّ هذه المرّة أخطر وأوسع بأشواط. ودخل الزجاج عاملاً بنيويّاً في تشكيل الاعمال إلى جانب الزفت. صار العمل يأخذُ بُعداً بنائياً مزاجاً الرسم إلى النحت. تماماً كالوقت، لم يعد فكرة مجردة في رأسي، أو مفهوماً فحسب. بل أصبحتُ أراه ثلاثيّ الأبعاد. هكذا هو قانون الزمن: كل لحظة تمر، هي فرصة جديدة لتغيير كل شيء.

بدأتُ العمل. حبست الزفت الطازج. دفنته بصبرٍ وتأنٍ بين الزجاج والسطح الخشبي. حطمتُ سطح الزجاج. أدخلتُ الأوكسجين إليه بكميات أتحكم أنا بها عبر الشقوق المكسورة. فيجفّ الزفت، على قدر تنفسه للأوكسجين مع الوقت. هكذا، رسمتُ بالأوكسجين والوقت.

يقول سولاج: " من ينظر إلى لوحتي هو داخل لوحتي ". وكذا بالنسبة لي، لكن من منظار بصريّ مفهوميّ مختلف، فهذا الزفت مع الزجاج المكسور (أو من دونه) يعكس الفضاء الذي يحتويه. هو يعكس مني على الآخر ومن الآخر على الآخرين، مرآة للوقت في الوقت. والعملية بأكملها اسقاط نفسي لكل الحالة التي نعيشها ويعيشها العالم. إلا أن الفرق بيننا وبين الآخرين اليوم، أننا كنا وما زلنا نعيش هذا الوقت الزفت في فلسطين وما حولها.

حاولت طوال حياتي أن أتعلّم السباحة وأن أطفو فوق الماء. لكنني فشلت. أمّا الزفت، فأظنني نجحتُ بأن أطفو عليه وأسير فوقه.

وتبقى الخلاصة من "وقت" ابن عربي إلى اليوم وكل وقت:
"وما الوجه إلا واحد غير أنّه / إذا أنتَ عدّدتَ المرايا تعدداً"

هاني زُعرَب
باريس، شباط 2021

* (القطران: تعني زفت بالعربية أيضاً) * تُستخدم كلمة "زفت" في العالم العربي وفلسطين تحديداً كمصطلح ازدراء للتعبير عن مجموعة واسعة من المشاعر - من حالة ذهنية محبطة إلى حالة نفور. يشير أحياناً إلى سوء الحظ كوسيلة لوصف موقف فظيع.